

عَشْرُ صُفَاتٍ لِلْحَجِّ الْمَبْرُورِ

إعداد

عبيد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن
 غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

الحمد لله الذي فرض الحجَّ على عباده إلى بيته الحرام،
ورتبَ ﷺ على ذلك وافرَ الأجرِ وجزيلَ الإنعام، فمن حجَّ
البيتَ ولم يرفُثْ ولم يفسُقْ؛ رجعَ من ذنوبه كيومَ ولدته أمُّه
طاهرًا نقيًّا من الذُّنوب والآثام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ذو الجلال
والإكرام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ خيرٌ من حجَّ البيتَ
واعتمرَ، وخيرٌ من صلَّى لله وصام، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى
آله وأصحابه الهداة الأعلام.

أما بعد:

فإنَّ الحجَّ المبرور من أفضل الأعمال وأزكاها وأطيبها وأحبَّها
إلى الله ﷻ، ويزترَّب عليه من الأجور العظيمة، والأفضال الكريمة
والخيرات العميمة في الدنيا والآخرة؛ ما لا يُعدُّ ولا يُحصى.

وقد أخبر النبي ﷺ أَنَّ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ
كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١).

وَلَمَّا قِيلَ لَهُ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الْأَعْمَالِ
أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ الْحَجُّ الْمَبْرُورُ»^(٢).

وَفِي حَدِيثٍ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ
الْعَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»^(٣).

وَلَمَّا كَانَ النَّاسُ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْقِيَامِ بِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ وَهَذَا الرُّكْنِ
تَفَاوُتًا عَظِيمًا، وَلَمْ يَكُونُوا فِي حُجَّتِهِمْ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى دَرَجَةٍ
وَاحِدَةٍ، بَلْ حَظُّ كُلِّ عَبْدٍ مِنْ كَمَالِ حُجَّتِهِ بِحَسَبِ حَظِّهِ مِنْ إِكْمَالِهِ
وَتَتَمِيمِهِ، وَالْقِيَامِ بِأَرْكَانِهِ وَوَاجِبَاتِهِ وَشُرُوطِهِ وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ؛
كَانَ حَرِيًّا بِالْعَبْدِ الْمُؤَفَّقِ أَنْ يَعْرِفَ: مَا هَذَا الْحَجُّ الْمَبْرُورُ؟ وَمَا
صِفَاتُهُ؟ وَكَيْفَ يَتِمُّ تَحْقِيقُهُ؟ وَمَا أَبْرَزُ عِلَامَاتِهِ؟ لِنَالِ ذَلِكَ هَذِهِ
الْأَجُورَ الْعَظِيمَةَ، وَالثَّوَابَ الْجَزِيلَ الْمَتَرْتَّبَ عَلَى هَذَا الْحَجِّ،
وَالْمَوْفَقَ مِنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ ﷻ.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٧٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٤٩).

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٢٦٢٤)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٥٢٠).

معنى الحجّ المبرور

✽ بين النبي ﷺ في الحديث السابق أنّ «الحجّ المبرور ليس له جزاءٌ إلاّ الجنة»^(١)، فجاء هذا الثواب العظيم -وهو الجنة- مُقَيَّدًا بأن يكون الحجّ مبرورًا.

وفي ذلك إشارةٌ إلى أنّه ليس كلّ مَنْ حجَّ يكون حجّه مبرورًا، بل من الحَجِيجِ من قد ينقصُ البرُّ في حجّه؛ لتفاوت الناس في ذلك. وقد تنوّعت عباراتُ أهل العلم في بيان معنى البرِّ، وفي المراد بالحجّ المبرور الوارد فضله في الأحاديث.

قال ابنُ بطّالٍ رحمه الله: «والحجّ المبرور: هو الذي لا رياءَ فيه ولا رِفْثَ ولا فسوقَ، ويكونُ بمالٍ حلالٍ»^(٢).

وقال ابنُ عبد البرِّ رحمه الله: «وأما قوله: «الحجّ المبرور» فهو الحجّ المُتَقَبَّلُ»^(٣).

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (١٧٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٤٩).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (٤/٤٣٥).

(٣) «الاستذكار» (٤/١٠٤).

وقال القاضي عياض رحمته الله: «قال شمر: هو الذي لا يُخالِطُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَأْثِمِ، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ومنه: «بَرَّتْ يَمِينُهُ» إذا سَلِمَ مِنَ الْحِنْثِ، و«بَرَّ بَيْعُهُ» إذا سَلِمَ مِنَ الْخِدَاعِ وَالْخِلَابَةِ.

وقال الحريُّ: «(بَرَّ حَجَّكَ) بضم الباء، و(بَرَّ الله حَجَّكَ) بفتحها: إذا رجع مبروراً مأجوراً، وقيل: المبرور: الْمُتَقَبَّلُ.

وفي الحديث: سئل رسول الله ﷺ ما بَرَّ الْحَجَّ؟ قال: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ»، فعلى هذا يكونُ مِنَ الْبَرِّ الذي هو: فِعْلُ الْجَمِيلِ فِيهِ وَالْبَذْلُ مِنْهُ؛ ومنه: «بَرُّ الْوَالِدَيْنِ وَالْمُؤْمِنِينَ»، ويكونُ أَيْضًا فِي هَذَا كُلُّهُ بِمَعْنَى: الطَّاعَةِ.

ويكون بمعنى: الصَّدَق، وَضِدُّهُ: الْفُجُور، ومنه: «بَرَّتْ يَمِينُهُ»؛ فيكون «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ»: الصَّادِقُ الْخَالِصُ لِلَّهِ ﷻ عَلَى هَذَا^(١).

وعن ثور بن يزيد قال: «مَنْ أَمَّ هَذَا الْبَيْتَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ لَمْ يَسَلِّمْ لَهُ حَجُّهُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حِلْمٌ يَضِطُّ بِهِ جِهْلُهُ، وَوَرَعٌ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَحُسْنُ الصُّحْبَةِ لِمَنْ صَحِبَهُ»^(٢).

(١) «إكمال المعلم» للقاضي عياض (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «الحلم» لابن أبي الدنيا (٥٣)، و«الاستذكار» لابن عبد البر (٤/ ١٠٥).

وقال النووي رحمه الله: «الأصحُّ الأشهرُ: أنَّ المَبْرُورَ هو الذي لا يُخالِطُهُ إثمٌ، مأخوذٌ مِنَ البرِّ؛ وهو: الطَّاعَةُ، وقيل: هو المقبول»^(١).
وقال القرطبي رحمه الله: «وقال الفقهاء: الحجُّ المَبْرُورُ هو الذي لم يُعصَ الله تعالى فيه أثناء أدائه.

وقال الفراء رحمه الله: «هو الذي لم يُعصَ الله تعالى بعده». قال القرطبي رحمه الله بعد نقله أقوال العلماء: «قلتُ: الحجُّ المَبْرُورُ هو الذي لم يُعصَ الله تعالى فيه، لا بعده». قال الحسن رحمه الله: «الحجُّ المَبْرُورُ هو: أن يرجعَ صاحبه زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، وقيل غير هذا»^(٢).

وهذه العبارات السابقة متقاربة في بيان المراد بالحجِّ المَبْرُورِ، ولذا قال أبو العباس القرطبي رحمه الله: «وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، وهو: أنَّه الحجُّ الذي وفِّيت أحكامه، ووقع موافقاً لما طُلبَ مِنَ المُكَلَّفِ على الوجهِ الأكملِ، والله تعالى أعلم»^(٣).

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٩/ ١١٨-١١٩).

(٢) انظر لما سبق: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢/ ٤٠٨).

(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٣٨٢).

صِفَاتُ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ

دَلَّتِ الْأَدَلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى جَمَلَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي
يَكُونُ بِهَا الْحَجُّ مَبْرُورًا وَيَتَحَقَّقُ بِهَا بَرُّ الْحَجِّ، أَجْمَلُهَا فِي عَشْرِ
صِفَاتٍ:

❁ الْأُولَى: أَنْ يَكُونَ الْحَجُّ خَالِصًا لِلَّهِ ﷻ.

وَذَلِكَ بِأَنْ لَا يُتَغَيَّرَ بِهِ إِلَّا وَجْهُ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّ الْحَجَّ قَرِيبُهُ وَطَاعَةُ
مِنْ أَمَّهَاتِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ الدِّينِيَّةِ الْجَلِيلَةِ؛ فَيُشْتَرَطُ فِيهِ مَا
يُشْتَرَطُ فِي كُلِّ عِبَادَةٍ؛ أَنْ يَتَغَيَّرَ بِهَا الْعَامِلُ وَجْهَ اللَّهِ ﷻ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ
ﷻ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣].

قَالَ اللَّهُ ﷻ فِي الْحَجِّ: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فَمَنْ أَكَّدَ الْوَاجِبَاتِ عَلَى الْحَاجِّ الَّذِي يُرِيدُ الْبِرَّ فِي حَجِّهِ؛
أَنْ يَرَاعِيَ الْإِخْلَاصَ فِيهِ لِلَّهِ ﷻ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ؛ فَذَلِكَ
مَطْلَبٌ عَزِيزٌ، وَمَقْصَدٌ جَلِيلٌ.

ولهذا قال نبينا الكريم ﷺ حينما أهل بالحج: «اللَّهُمَّ حَبَّةٌ لَا رِیَاءَ فِيهَا، وَلَا سُمْعَةً»^(١).

فالرياء والسُّمعةُ هما أشدُّ ما يخدش الإخلاص، ويحبط ثواب العمل؛ لأنَّ الله ﷻ لا يقبلُ العملَ إلَّا إذا كان صافيًا نقيًّا؛ كما قال الله ﷻ في الحديثِ القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشَرَكُهُ»^(٢).

ويقول الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾^(٣) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿[الإسراء: ١٨-١٩].

فالواجبُ على مَنْ أكرمَهُ الله ﷻ بالحج أن يراعي في أعماله وأقواله كلُّها الإخلاص، فيفعلُ النُّسكَ وهو لا يبتغي إلا وجهَ الله ﷻ، فحينما يلبي أو يكبر أو يدعو أو يطوف أو يسعى يحِرِّصُ على تجنُّبِ الرِّیاءِ والسُّمعةِ وإرادةِ الدُّنيا، ويُجاهدُ نفسه على الإخلاص لله ﷻ.

ولهذا كانت تلبيةُ رسول الله ﷺ متضمَّنةً لتقريرِ التَّوحيدِ والإخلاص لله ﷻ في كلماتها، والبراءة من الشُّرك، فقد قال

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٨٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩٨٥).

جابر بن عبد الله رضي الله عنه في بيانه لتلبية النبي ﷺ: «فَاهْلٌ بالتوحيد: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»^(١).

فعلى الملبّي الذي أكرمه الله ﷻ بالتلبية بهذه الكلمات العظيمة أن يستحضر معانيها، وأن يعي دلالاتها، وأن يسعى في تحقيق التوحيد الذي دلّت عليه؛ فلا يسأل إلا الله ﷻ، ولا يستغيث إلا بالله ﷻ، ولا يذبح إلا لله ﷻ، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤].

☆ الثانية: أن يكون الحج موافقاً للسنة:

فمن صفات الحج المبرور أن تكون أعماله موافقة للسنة، وقد قال النبي ﷺ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ»^(٢).

فعليك -أخي الحاج- أن تعلم أن الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة إنما هي باتباع هدي النبي ﷺ والتقيد بسنته، وأن كل عمل جاء مخالفاً لهديه ﷺ فهو مردودٌ غير مقبول، كما قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٢٩٧).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧١٨).

ولهذا كان الصَّحَابَةُ أَشَدَّ النَّاسِ اقْتِفَاءً لِسَنَةِ النَّبِيِّ ﷺ وهدية
وأفعاله في مناسكِ الحجِّ، ومن ذلك:

✽ قولُ يعلى بنِ أُمِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «طُفْتُ مَعَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ فَاسْتَلَمَ
الرُّكْنَ، فَكُنْتُ مِمَّا يَلِي الْبَيْتَ، فَلَمَّا بَلَغْنَا الرُّكْنَ الْغَرْبِيَّ الَّذِي يَلِي
الْأَسْوَدَ، جَرَرْتُ بِيَدِهِ لِيَسْتَلِمَ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟!»، فَقُلْتُ: أَلَا
تَسْتَلِمُ؟! قَالَ: «أَلَمْ تَطُفْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ:
«أَفَرَأَيْتَهُ يَسْتَلِمُ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ الْغَرْبِيَيْنِ؟!»، فَقُلْتُ: لَا، قَالَ:
«أَفَلَيْسَ لَكَ فِيهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَانْفِذْ عَنْكَ»^(١).

فَبَيَّنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وهو القدوةُ والأُسوةُ لم يستلمْ ويمسحْ شيئاً من أركانِ الكعبةِ
إلا الحجرَ الأسودَ والركنَ اليماني، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَفَلَيْسَ لَكَ فِيهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟!».

✽ وفي حادثةٍ أُخرى له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين» أنه قَبَّلَ الحجرَ
الأسودَ ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسَمِّعاً مَنْ حَوْلَهُ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ،
وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٥٩٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٢٧٠).

فَبِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ بِذَلِكَ عَلَى جَانِبِ الْإِتِّبَاعِ فِي مَنَاسِكَ الْحَجِّ، وَأَنَّ الْأَعْمَالَ التَّعْبِيدِيَّةَ كُلَّهَا تَوْقِيفِيَّةٌ، لَا يُفْعَلُ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ وَهَدْيٍ ثَابِتٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

❁ الثالثة: أَنْ يَعْمَلَ الْحَاجُّ عَلَى تَحْقِيقِ تَقْوَى اللَّهِ ﷻ فِيهِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧].

وقَدْ أَكْثَرَ اللَّهُ ﷻ فِي آيَاتِ الْحَجِّ - عَلَى قَلَّتْهَا - مِنَ الْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوَى؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ فِي الْحَجِّ كَثِيرٌ مِنْ أَسْبَابِ التَّقْوَى الَّتِي لَا تَحْصُلُ فِي غَيْرِهِ.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سِيَاقِ آيَاتِ الْحَجِّ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وَفِي أَثْنَاءِ الْآيَاتِ قَالَ ﷻ أَيْضًا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ثُمَّ خَتَمَ اللَّهُ ﷻ آيَاتِ الْحَجِّ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وَفِي سُورَةِ الْحَجِّ قَالَ ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وَقَالَ ﷻ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

فهذه الوصية المتكررة في آيات الحج من الله ﷻ بالتقوى تدلُّ على أهميتها وعظيم قدرها، وأنَّ على أولي الألباب الذين أكرمهم الله بتيسير الحجِّ لهم أن يجعلوا تحقيق تقواه من أسمى أهدافهم في حجِّهم، وأن يعملوا عقولهم وألبابهم في تلك المشاعر العظيمة ليستفيدوا منها تقوى الله ﷻ، فالحجُّ مدرسة عظيمة للتقوى، وبابٌ كبيرٌ من أبوابها، فكلُّ شعائر الحجِّ تعدُّ أعظم مُعين على تحقيق تقوى الله ﷻ .

❁ الرابعة: تَجَنُّبُ الرَّفَثِ.

فالحاجُّ الذي يريدُ البرَّ في حجِّه عليه أن يبتعدَ عن كُلِّ ما فيه رَفَثٌ، والرَّفَثُ هو: كُلُّ ما يَتَعَلَّقُ بِالْجَمَاعِ أو ما يَسْبِقُهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِهِ؛ كما قال تعالى: ﴿ الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الشيخُ السَّعْدِيُّ رحمه الله: «أي: يجبُ أن تعظَّموا الإِحْرَامَ بِالْحَجِّ، وَخُصُوصًا الْوَاقِعَ فِي أَشْهُرِهِ، وَتَصُونُوهُ عَنْ كُلِّ مَا يُنْقِصُهُ أو يُنْقِصُهُ؛ مِنَ الرَّفَثِ؛ وَهُوَ: الْجَمَاعَ وَمُقَدِّمَاتِهِ الْفَعْلِيَّةَ وَالْقَوْلِيَّةَ، خُصُوصًا عِنْدَ النِّسَاءِ بِحَضْرَتِهِنَّ»^(١).

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٩١).

الخامسة: تَجَنُّبُ الْفُسُوقِ:

قال تعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال القاضي عياض رحمته الله: «الْفُسُوقُ هُنَا: السَّيِّئَاتِ، وَقِيلَ: الْمَعَاصِي، وَقِيلَ: مَا أَصَابَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وَالصَّيْدِ، وَقِيلَ: الْفُسُوقُ: قَوْلُ الزُّورِ، وَقِيلَ: الذَّبْحُ لِلْأَنْصَابِ»^(١).

فيظهر ممَّا سبق أَنَّ الْفُسُوقَ يَعْنِي كُلَّ مَا خَرَجَ بِهِ الْعَبْدُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ بِفَعْلِهِ لشيءٍ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ.

وإنَّ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ لَا يَتَحَصَّلُ وَقَدْ خَالَطَهُ الْإِثْمُ، وَشَابَتْهُ الْمَعْصِيَةُ، لِذَلِكَ وَجِبَ عَلَى الْحَاجِّ النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ أَنْ يَجْتَنِبَ فِي حَجِّهِ جَمِيعَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.

✽ ويدخل في ذلك - كما نبّه أهل العلم -: الذُّنُوبُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ قَبْلَ حَجِّهِ، وَاعْتَادَ عَلَى فَعْلِهَا، فَهَذِهِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَوَبَّ مِنْهَا إِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ حَجَّهَ مَبْرُورًا، أَمَّا مَنْ كَانَ مُصِرًّا عَلَى فَعْلِ الْآثَامِ الَّتِي أَلْفَهَا وَاعْتَادَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَعِزْمْ عَلَى تَرْكِهَا، فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْفُسُوقِ؛ وَإِنْ لَمْ يَبَاشِرْ شَيْئًا مِنْهَا أَثْنَاءَ حَجِّهِ.

(١) «إِكْمَالُ الْمَعْلَمِ» (٤/ ٤٦٢).

❀ وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي تَرْكِ الْفُسُوقِ فِي الْحَجِّ: عَدَمُ مَخَالَفَةِ وَلِيِّ الْأَمْرِ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ مِنْ تَرْتِيبَاتٍ وَتَوَجِّهَاتٍ لَتَنْظِيمِ وَتَسْيِيرِ مَنَاسِكَ الْحَجِّ، وَدَفْعِ الْمَهَالِكِ وَالْمَخَاطِرِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ نُصُوصَ الشَّرِيعَةِ تَكَاثَرَتْ فِي الْحَثِّ عَلَى طَاعَةِ وَلِيِّ الْأَمْرِ وَعَدَمِ مَخَالَفَتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكَّدَ هَذَا الْأَمْرَ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ فِي عَدَدٍ مِنْ خُطْبِهِ فِيهِ؛ وَذَلِكَ لِبَيَانِ أَهْمِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ أَثَرِهِ فِي صَلَاحِ شُؤْنِ الْمُسْلِمِينَ.

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»^(١).

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَدَّتِي تُحَدِّثُ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ وَهُوَ يَقُولُ: «وَلَوْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»^(٢).

❀ وَالنَّصِيحَةُ الْجَامِعَةُ لَكَ - أَخِي الْحَاجَّ - فِي هَذَا الْبَابِ: أَنْ تَسْتَقْبَلَ حَجَّكَ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ النَّصُوحِ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ ذُنُوبِكَ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» (٦١٦).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (١٨٣٨).

وخطاياك لتنال هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل، فصدقُ توبتك يقتضي قبول حجَّتكَ.

وقد قال النبيُّ النَّاصِحُ الْأَمِينُ ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١).

☆ السَّادِسَةُ: تَجَنُّبُ الْجِدَالِ فِي الْحَجِّ:

الحجُّ مدرسةٌ مثلى للآداب والأخلاق، يتربَّى فيها المسلمُ على الآدابِ الفاضلةِ، وحُسنِ المُعاملةِ، ومن ذلك: البُعدُ عن الجِدَلِ والخُصومةِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ ﷺ: «وَالجِدَالُ وَهُوَ: المُمَارَاةُ والمُنَازَعَةُ والمُخَاصَمَةُ؛ لكونها تُشِيرُ الشَّرَّ، وتُوقِعُ العَدَاوَةَ، والمَقْصُودُ مِنَ الْحَجِّ: الذُّلُّ والانكِسارُ لِلَّهِ، والتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بما أَمَكَنَ مِنَ القُرْبَاتِ، والتَّنَزُّهُ عن مَقَارِفَةِ السَّيِّئَاتِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ مَبْرُورًا، والمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ وَإِنْ كَانَتْ مَمْنُوعَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، فَإِنَّهُ يَتَغَلَّظُ الْمَنْعُ عَنْهَا فِي الْحَجِّ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٥٢١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٩١).

السابعة: الإحسانُ إلى الحُجَّاج وإِكْرَامِهِمْ:

فقد صحَّ عن النبي ﷺ قوله: «الْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَقَدْ أَلَّفَهُ اللَّهُ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»^(١).

فَمِنْ بَرِّ الْحَجِّ أَنْ يُحَسِّنَ الْحَاجُّ إِلَى وَفْدِ اللَّهِ وَضُيُوفِ الرَّحْمَنِ بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ؛ مِنْ إِطْعَامٍ لِلطَّعَامِ، وَسَقْيٍ لِلْمَاءِ، وَإِفْشَاءٍ لِلسَّلَامِ، وَلِينٍ لِلْكَلامِ، وَإِرْشَادٍ لِلضَّالِّ، وَتَعْلِيمٍ لِلْجَاهِلِ، وَإِعَانَةٍ لِلْمُحْتَاجِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعْرِوفِ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ولأحمدَ والحاكمَ من حديث جابرٍ رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله؛ ما بَرُّ الْحَجِّ؟ قال: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ»، وفي إسناده ضَعْفٌ، فلو ثَبَتَ لكانَ هو الْمُتَعَيَّنَ دونَ غيره»^(٢).

وجاء عن خلادِ بن عبد الرَّحْمَنِ رحمه الله قال: سألتُ سعيدَ بنَ جُبَيْرٍ؛ أَيُّ الْحَاجِّ أَفْضَلُ؟ قال: «مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَكَفَّ لِسَانَهُ»، قال وأخبرنا الثوريُّ رحمه الله قال: «سمعنا أَنَّهُ مِنْ بَرِّ الْحَجِّ»^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٨٩٣)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (١٨٢٠).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٨١٦).

وجاء في «تاريخ بغداد»: «أنَّ عبد الله بن المبارك رحمته الله كان إذا أراد أن يحجَّ مع إخوانه من أهل مَرَوْ يَقُولُ لَهُمْ: «هَاتُوا نَفَقَاتِكُمْ»، فَيَأْخُذُ نَفَقَاتِهِمْ فَيَجْعَلُهَا فِي صُنْدُوقٍ وَيَقِفُلُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَكْتَرِي لَهُمْ، فَلَا يَزَالُ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ وَيُطْعِمُهُمْ أَطِيبَ الطَّعَامِ، وَأَطِيبَ الْحُلُوءِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ مَرَوْ إِلَى بَغْدَادَ بِأَحْسَنِ زِيٍّ، وَأَجْمَلَ مُرُوءَةٍ... فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ وَقَضُوا حَجَّهُمْ قَالَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: مَا أَمْرُكَ عِيَالُكَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَهُمْ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ؟ فَيَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَيَشْتَرِي لَهُمْ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْ مَكَّةَ؛ فَلَا يَزَالُ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ يَصِيرُوا إِلَى مَرَوْ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ صَنَعَ لَهُمْ وَلِيمَةً وَكَسَاهُمْ، فَإِذَا أَكَلُوا وَسَرُّوا، دَعَا بِالصُّنْدُوقِ فَفَتَحَهُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ صُرَّتَهُ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ عَلَيْهَا اسْمَهُ»^(١).

وَيُلْحَقُ بِالْإِحْسَانِ لِلْحُجَّاجِ: تَجَنُّبُ أَذْيَتِهِمْ، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِلنَّاسِ فِي الْحَجِّ: «أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»^(٢).

وحينما رأى ﷺ ازدحامَ الْحَجِّيجِ عِنْدَ الْجُمَرَاتِ قَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا»^(٣).

(١) انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٣٩٥/١١).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٢١٨).

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (١٩٦٦)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (٢٤٤٥).

وقال النبي ﷺ في الْحَجِّ: «تَدْرُونَ مَنْ الْمُسْلِمُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، قال: «تَدْرُونَ مَنْ الْمُؤْمِنُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «مَنْ أَمِنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الشُّوَّاءَ فَاجْتَنَبَهُ»^(١).

فالواجب على كُلِّ مُسْلِمٍ -ولا سيما مَنْ أكرمه الله بالحج- أن يُكرِمَ ضيوفَ الرَّحْمَنِ، وأن يحتفي بوفد الله ﷻ، وأن يرعى لهم حقهم ومكانتهم، وأن يتعامل معهم بأحسنِ مُعاملةٍ، وأطيبِ أسلوبٍ، وأن يتجنَّبَ أذيتهم، فإنَّ الحجَّ يربِّي الإنسانَ على التخلُّقِ بالأخلاقِ الفاضلةِ؛ والإحسانِ إلى الناسِ، والتحلِّيِ بالصَّبْرِ والرَّفْقِ، والأناةِ، وحُسنِ المُعاملةِ.

❁ الثامنة: أن يكونَ الحجُّ بمالٍ حلالٍ.

فمن صِفَاتِ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ: أن يكونَ مِنْ مالٍ طَيِّبٍ، فيجِبُ على الحاجِّ أن يتخيَّرَ لحجَّه النَّفَقَةَ الطَّيِّبَةَ وَالْكَسْبَ الْحَلَالَ، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(٢).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٩٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠١٥).

قال الحافظُ ابنُ رَجَبٍ رحمته الله: «في هذا الحديثِ إشارةٌ إلى أنَّه لا يُقبلُ العملُ ولا يَزْكُو إلا بأكلِ الحلالِ، وأنَّ أكلَ الحرامِ يُفسدُ العملَ، ويَمْنَعُ قبولَه ... وخرَجَ الطبرانيُّ بإسنادٍ فيه ضعفٌ من حديثِ أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا خرج الرجلُ حاجًّا بنفقةٍ طيبةٍ، ووضعَ رجله في الغَرَزِ، فنادى: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، ناداه منادٍ من السماء: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ زادُكَ حلالٌ، وراحتك حلالٌ، وحجك مبرورٌ غيرَ مأزورٍ، وإذا خرجَ الرَّجُلُ بالنفقةِ الحَبِيثَةِ، فوضعَ رجلَه في الغَرَزِ، فنادى: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، ناداه منادٍ من السماء: لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْكَ، زادُكَ حرامٌ، ونفقتك حرامٌ، وحجُّكَ غيرُ مبرورٍ» ^(١) ... ^(٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الْخِلَافَ في حُكْمِ مَنْ حَجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ.

وقال الشيخُ ابنُ عُثَيْمِينَ رحمته الله في الأمرِ الرابعِ مِنَ الْأُمُورِ التي يكونُ بها الحَجُّ مَبْرُورًا: «أن يكونَ مِنْ مالٍ مُباحٍ ليسَ حرامًا، بأن لا يكونَ رِبًّا، ولا مِنْ غَشٍّ، ولا مِنْ مَيْسِرٍ، ولا غيرِ ذلك من أنواعِ المَفسَدِ المُحرَّمةِ، بل يكونُ مِنْ مالٍ حلالٍ، ولهذا قال بعضهم:

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٢٨)، وقال الهيثمي في «مجمع

الزوائد» (٢٩٢/١٠): «فيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف».

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/٢٦٠-٢٦٢).

إِذَا حَبَجْتَ بِمَالٍ أَصْلَهُ سُحَّتْ

فَمَا حَبَجْتَ وَلَكِنْ حَبَّتِ الْعِيرُ.

يعني: الإبل حَبَّتْ، أَمَا أَنْتَ فَمَا حَبَجْتَ؛ لِأَنَّ مَالَكَ حَرَامٌ^(١).

فعلى الحاج الذي يرْجُو القَبُولَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى طَيْبِ
الْمَكْسَبِ وَطَيْبِ النِّفْقَةِ.

✽ التاسعة: أَنْ يَكْثِرَ الْحَاجُّ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ فِي حَجَّهِ:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «إِنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ
فِيهِ ذِكْرًا لِلَّهِ ﷻ، فَأَفْضَلُ الصُّوَامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ ﷻ فِي صَوْمِهِمْ،
وَأَفْضَلُ الْمُتَصَدِّقِينَ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ ﷻ، وَأَفْضَلُ الْحُجَّاجِ أَكْثَرُهُمْ
ذِكْرًا لِلَّهِ ﷻ، وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَعْمَالِ»^(٢).

ثمَّ أوردَ حديثًا فيه: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْجِهَادِ أَعْظَمُ
أَجْرًا؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ ﷻ ذِكْرًا» قَالَ: فَأَيُّ الصَّائِمِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا؟
قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ ﷻ ذِكْرًا»، ثُمَّ ذَكَرَ لَنَا الصَّلَاةَ، وَالزَّكَاةَ، وَالْحَجَّ،
وَالصَّدَقَةَ؛ كُلُّ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ ﷻ ذِكْرًا»،

(١) «شرح رياض الصالحين» (٥/ ٣٢٢).

(٢) «الوابل الصيَّب» (ص ١٨١-١٨٢).

فقال أبو بكرٍ لعمر رضي الله عنه: «يا أبا حفصٍ؛ ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ!»،
فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلٌ»^(١).

وهذه قاعدةٌ جليلةٌ شريفةٌ متناولةٌ عمومَ العبادات؛ فأعظمُ
النَّاسِ أَجْرًا في كُلِّ طاعةٍ أكثرُهم ذِكرًا لله فيها، فأكثرُ الحُجَّاجِ
أَجْرًا عند الله، أكثرُهم ذِكرًا لله ﷻ في حَجِّهم، وأكثرُ المُعْتَمِرِينَ
أَجْرًا عند الله ﷻ؛ أكثرُهم ذِكرًا لله ﷻ في عُمُرَتِهِمْ، وهكذا في
كُلِّ طاعةٍ.

ولهذا؛ فَإِنَّ الحُجَّاجَ، ليسوا في حَجِّهم على درجةٍ واحدةٍ،
وليس أَجْرُهُمْ فيه سواءٌ؛ لَأَنَّ فِيهِمُ الْمَكْتَبِينَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ،
وفيهم المتوسِّطُ، وفيهم المُقِلُّ، وفيهم الغافلُ اللَّاهِي المُعْرِضُ؛
والله المستعان.

فينبغي على الحُجَّاجِ، أَنْ يَحْفَظَ وَقْتَهُ في حَجِّهِ، وَأَنْ يَحْرِصَ
فيه على الإِكْتِمَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ؛ قِراءةً لِلْقُرْآنِ، وتَلْبِيَةً، وتَسْبِيحًا،
وتَحْمِيدًا، وقِراءةً لَكُتُبِ الْعِلْمِ، ونحو ذلك؛ لِيُعْظَمَ أَجْرُهُ في
حَجِّهِ وَلِيَفُوزَ بِالْقَبُولِ فيه، وبجَزِيلِ الثَّوَابِ.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٦١٤)، وقال الهيثمي في «مجمع
الزوائد» (١٠ / ٧٤): «فيه زبَانُ بنِ فائِدٍ وهو ضعيفٌ وقد وثَّقَ، وكذلك ابن
لهيعة وبقيّة رجال أحمد ثقات».

❁ العاشرة: أن يحِرَّصَ الحاجُّ أثناءَ الحجِّ على التأمُّلِ في أسرارِهِ وعِبَرِهِ، والوقوفِ على ما فيه من فوائدٍ عاجِلَةٍ وأجَلَةٍ.

فالتأمُّلُ في فوائدِ الحجِّ وعِبَرِهِ الكثيرةِ من أسبابِ برِّه واستقامتِهِ، وقد أجملها الله ﷻ في قوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، فاللَّامُ في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ هي لامُ التَّعليلِ وهي متعلِّقةٌ بقوله ﷻ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، أي: يأتون إلى الحجِّ مشاةً ورُكبانًا لأجلِ أن يشهدُوا ويحضُّروا منافعَ لهم، فالْحجُّ ملىءٌ بالمنافعِ العظيمةِ الدِّنيَّةِ والدُّنيويَّةِ، ونكَّرَ المنافعَ في الآية؛ إشارةً إلى تعدُّدها وتنوُّعها وكثرتها.

فجديرٌ بالحُجَّاجِ أن يشهدوا في حَجِّهم المنافعَ العظيمةَ، والدروسَ المتنوعةَ، والعِظَاتِ المؤثِّرةَ، لتحيا بذلك قلوبُهم، ويتقوَّى إيمانُهم، وتزكو نفوسُهم، وتصلَحَ أحوالُهم.



علامةُ الحجِّ المبرور

❁ ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ عِلَامَةً لِلْحَجِّ الْمَبْرُورِ تَظْهَرُ بَعْدَ الْحَجِّ؛ وَهِيَ:
أَنْ تَكُونَ حَالُ الْحَاجِّ بَعْدَ الْحَجِّ أَحْسَنُ مِنْهَا قَبْلَهُ؛ فَمَنْ كَانَتْ
حَالُهُ سَيِّئَةً قَبْلَ الْحَجِّ فَإِنَّهَا تَتَحَوَّلُ بَعْدَهُ إِلَى حَالٍ حَسَنَةٍ، وَمَنْ
كَانَتْ حَالُهُ حَسَنَةً قَبْلَ الْحَجِّ تَتَحَوَّلُ بَعْدَهُ إِلَى أَحْسَنَ، فَهَذِهِ مِنْ
عِلَامَاتِ قَبُولِ الْحَجِّ وَمِنْ دَلَالَاتِ الرِّضَا عَنْ عَمَلِ الْعَبْدِ.

فَمَنْ كَانَ مُخْلًا بِبَعْضِ الْوَاجِبَاتِ وَوَاقِعًا فِي بَعْضِ الْمُنْهَيَّاتِ
وَالْمُخَالَفَاتِ ثُمَّ وَجَدَ بَعْدَ الْحَجِّ مِنْ نَفْسِهِ إِقْبَالًا عَلَى اللَّهِ ﷻ،
وَإِعْرَاضًا عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَمُبَادَرَةً إِلَى التَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِهِ؛ فَهَذِهِ
عِلَامَةٌ ظَاهِرَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْقَبُولِ، وَدَلَالَةٌ عَلَى الرِّضَا عَنِ الْعَمَلِ،
وَأَنَّ الْحَجَّ كَانَ مُوَفَّقًا مَبْرُورًا.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمته الله: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ أَنْ يَرْجِعَ زَاهِدًا
فِي الدُّنْيَا، رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣ / ٢٣٨).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فإن رَجَعَ خيراً ممّا كان؛ عُرف أنّه مبرورٌ»^(١).

ولهذا يتأكّد على كلّ مُسلمٍ بعد حجّه لبيتِ الله الحرام أن يجتهدَ في تكميل صلاح نفسه بالمحافظة على طاعة الله تعالى، وأن لا يكون ﴿كَأَلَيْ نَقَضْتَ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: ٩٢]، فكيف يستقيم أن يخرج المؤمن من حجّه كيوم ولدته أمّه، ثمّ يكبّ على الذنوب بعد الحجّ؟! ويُقبل على الخطايا والآثام بعده؟! فهل هذا هو الشكر الواجبُ لله تعالى على تيسيره وتوفيقه لأداء هذا التُّسك العظيم؟!

❁ ومن المسائل المهمّة بعد الحجّ: أن لا يجزّم الحاجُّ لنفسه ولا لغيره بأن حجّه متقبّل ومبرورٌ، فقد قال الله تعالى في حال المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله؛ أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال ﷺ: «لا يا بنت الصديق، ولكنّه الرجل يصوم ويصلي ويتصدّق؛ وهو يخاف أن لا يُقبل منه»^(٢).

(١) «فتح الباري» (٣/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٥٧٠٥).

فحال المؤمن أنه يجتهد في إتقان عبادته وتكميلها، ثم يسأل الله أن يقبلها منه، من غير أن يُدلي بها على ربه، أو يَمُنَّ بطاعته عليه، أو تعظم وتكبر في نفسه! فهذه كلها من أمارات الحرمان، ومن دلائل الخسران، قال الله ﷻ: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ اسْلَمْكُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

فالفضل من الله ﷻ، والنعمة والتوفيق بيده ﷻ، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: ٨٨].

ومن المسائل المهمة كذلك: أن يسأل الحاج ربه ﷻ في تمام حجه أن يجعله مبروراً، فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: «أفضت مع عبد الله بن مسعود ﷺ فرمى سبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، واستبطن الوادي حتى إذا فرغ، قال: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا - ثم قال: - هكذا رأيْتُ الذي أنزلت عليه سورة البقرة صنع»^(١).

وقال الهيثم بن حنش: سمعت ابن عمر ﷺ حين رمى الجمار يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا»^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مسنده» (١٤٠١٦).

(٢) المصدر السابق (١٤٠١٧).

وقال المغيرة: قُلْتُ لإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: مَا أَقُولُ إِذَا رَمَيْتُ
الْجَمْرَةَ؟ قال: «قُل: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا»^(١).

وعن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، قال: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ
يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ إِذَا فَرَعْنَا مِنْ رَمْيِ الْجَمْرَةِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا
مَبْرُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا»^(٢).

قال ابنُ رَجَبٍ رحمته الله: «فَمَا دَعَا الْحَاجُّ لِنَفْسِهِ وَلَا دَعَا لَهُ غَيْرُهُ
بِأَحْسَنَ مِنَ الدُّعَاءِ بِأَنْ يَكُونَ حَجُّهُ مَبْرُورًا؛ وَلِهَذَا يُشْرَعُ لِلْحَاجِّ
إِذَا فَرَعَ مِنْ أَعْمَالِ حَجِّهِ وَشَرَعَ فِي التَّحَلُّلِ مِنْ إِحْرَامِهِ بِرَمْيِ
جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا،
وَسَعْيًا مَشْكُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا ... وَكَذَلِكَ يُدْعَى لِلْقَادِمِ مِنَ
الْحَجِّ بِأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ حَجَّهُ مَبْرُورًا»^(٣).

❁ وَمِنَ الْمَسَائِلِ الْمَهْمَةِ: أَنْ يَجْتَهِدَ الْحَاجُّ بِالْدُّعَاءِ بِالْقَبُولِ،
وَيَرْجُو اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُ حَجُّهُ، وَيَكُونَ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ
حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ ﷻ؛ أَنْ لَا يُخَيِّبَ رَجَاءَهُ، وَلَا يَرُدَّ دُعَاءَهُ، وَأَنْ
يُكْرِمَهُ بِالْقَبُولِ، وَاللَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، فَلْيُظَنَّ الْعَبْدُ بِرَبِّهِ خَيْرًا.

(١) أخرجه ابنُ أبي شَيْبَةَ في «مُسْنَدِهِ» (١٤٠٢٠).

(٢) أخرجه ابنُ أبي خَيْثَمَةَ في «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» (٣٨٩١).

(٣) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» (ص ١٥١-١٥٢).

وقد ذكر الله ﷻ عن خليله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام أنهما كانا يدعوان بهذا الدعاء عند بنائهما للكعبة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، فرغم أنهما في عمل صالح جليل من أجل الأعمال؛ فقد كانا يسألان الله أن يتقبل منهما.

ولهذا كان وهيب بن الورد رحمه الله إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: «يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن؛ وأنت مشفق أن لا يقبل منك؟!»^(١).

وروى ابن أبي الدنيا في كتابه «حسن الظن بالله» عن عبد الله ابن المبارك رحمه الله قال: «جئت إلى سفيان رحمه الله عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تهلان، فبكيت، فالتفت إلي فقال: ما شأنك؟! فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله ﷻ لا يغفر لهم!»^(٢).

ولهذا مضت السنة من زمن الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا؛ إذا لقى المسلمون بعضهم بعضاً في عيد الفطر وعيد الأضحى يقول بعضهم لبعض: «تقبل الله منا ومنكم».

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٢٤٠).

(٢) «حسن الظن بالله» (٧٨).

قال ابن بطّة رحمته الله: «وكذلك يقول مَنْ قَدِمَ مِنْ حَجَّةٍ بَعْدَ فِرَاقِهِ مِنْ حَجَّهِ وَعُمُرَتِهِ وَقَضَاءِ جَمِيعِ مَنَاسِكَهِ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَجَّهِ: «قَدْ حَجَجْنَا، مَا بَقِيَ غَيْرُ الْقَبُولِ» ... وبذلك يُتَلَقَّى الْحَاجُّ فَيُقَالُ لَهُ: «قَبِلَ اللَّهُ حَجَّكَ، وَزَكَّى عَمَلَكَ»، وكذا يتلاقى النَّاسُ عِنْدَ انْقِضَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ فيقول بعضهم لبعضٍ: «قَبِلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ»، بهذا مَضَتْ سُنَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِ جَرَتْ عَادَاتُهُمْ، وَأَخَذَهُ خَلْفُهُمْ عَنْ سَلَفِهِمْ»^(١).

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ؛ تَقَبَّلْ مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ حَجَّهُمْ، وَاشْكُرْ سَعْيَهُمْ، وَاغْفِرْ ذُنُوبَهُمْ، وَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَأَعِدَّهُمْ إِلَى بُلْدَانِهِمْ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُمْ أُمّهَاتُهُمْ، مَغْفُورَةً ذُنُوبَهُمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ أَجْمَعِينَ حَجًّا مَبْرُورًا، وَسَعْيًا مَشْكُورًا، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.





صِفَاتُ الْحَجِّ الْمُبَرُورِ